من أحاديث الأحكام

آداب عامة

النظافة والطهارة

اهتم الإسلام بالنظافة والطهارة حتى لقد جعلها عبادة يحبُّ الله من يحرص عليها، فقال -جلَّ من قائل: «**إنَّ الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**»، بل لقد جعل الوضوء وتنظيف الأعضاء الظاهرة شرطًا لصحة الصلاة، فما يجوز للعبد أن يصلي لربه إلا إذا اغتسل إنْ كان جنبًا وتوضَّأ إنْ أحدث حدثًا أصغر، وسنَّ للمسلمين سنن الفطرة، وهي الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب، وإعفاء اللحية، وإكرام الشعر الغزير الوافر، وترك الشيب (أي: عدم نتفه)، وخضاب الشيب بالحناء والكتم والتطيب بالمسك أو أي طيب ذكي الرائحة يشرح الصدر، وكلها كما يتضح مما يوفر النظافة والجمال.

وهذه أحاديث شريفة حول هذه الأمور نوردها ثم نستنبط ما فيها من أحكام:

- جاء في سنن النسائي أن رسول الله ﷺ قال: «**حبِّب إليَّ الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة**».

- وروى الترمذي أربعة أحاديث في هذا الباب:

الحديث الأول: «**إنَّ الله طيبٌ يحبُّ الطيب، نظيف يحبُّ النظافة، كريم يحبُّ الكرم، جوادٌ يحبُّ الجود؛ فنظفوا أفنيتكم، ولا تتشبَّهوا باليهود**».

والحديث الثاني: «**إذا أعطي أحدكم الريحان فلا يردّه؛ فإنه خرج من الجنة**».

والثالث: «**ثلاثة لا ترد: الوسادة، والدهن، والطيب**».

- وروى أصحاب السُّنن أن رسول الله ﷺ كان يتطيب بالمسك والعنبر.

وفي صحيح مسلم أن أبا هريرة ﷺ لقيته امرأة، فوجد منها ريح الطيب، فقال لها: «**يا أمة الجبار، جئت من المسجد؟** قالت: نعم. فقال لها: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تقبل**

صلاة امرأة تطيبت للمسجد حتى تغتسل غسلها من الجنابة»، وفي رواية: «**إذا استعطرت فمرت على القوم ليجدوا ريحها**».

- وروى مالك والنسائي عن أبي قتادة الأنصاري ﷺ أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: إن لي جُمةً (أي: شعر طويلاً) أفأرجلها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم وأكرمها**».

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ رأى غلامًا قد حلق بعض رأسه وترك بعضه، فنهاهم عن ذلك، وقال: «**احلقوا كله أو ذروا كله**»، وفي الصحيحين أنه ﷺ نهى عن القَزع.

- وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**اختتن إبراهيم خليل الرحمن بعدما أتت عليه ثمانون سنة واختتن بالقدوم**».

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، وَفِّرُوا اللِّحَى، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ**».

- وروى الجماعة أن رسول الله ﷺ قال: «**خمس من الفطرة: الاستحداد، والختان، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر**».

- وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ قال: «**من كان له شعر؛ فليكرمه**».

- وفي صحيح مسلم عن أنس ﷺ قال: «**كنا نكره أن ينتف الرجل الشعرة البيضاء من رأسه ولحيته**».

- وروى الجماعة أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ اليهود والنصارى لا يصبغون؛ فخالفوهم**».

أولاً: يحرص الإسلام على نظافة المسلم بحيث لا يرى منه جليسه إلا ما يراه من الوردة المتفتحة المنظر الجميل والشذا العطر، ومن ثم فالإسلام سنَّ سننًا في النظافة كلها تهدف إلى تنظيف الأعضاء الظاهرة والاعتناء بمغابن الجسد ليكون طاهرًا وضيئًا نظيفًا في ظاهره وباطنه، ولتتناسب نظافة جسمه وأعضائه مع وضاءة قلبه وصفائه؛ فلا يبقى على جسمه درن، ولا يشوه صحيفته ذنب.

ثانيًا: الطيب مما يشرح الصدر ويسر النفس ويمتع الجليس، وقد كان رسول الله ﷺ يحرص على التطيب وبخاصة إذا أراد مقابلة الناس أو دخول المسجد، والمرأة المسلمة أيضًا

يسن لها الطيب لتسر زوجها وتمتعه بشذاها، لكن الطيب يصبح إثمًا على المرأة إذا تطيبت وخرجت إلى الشارع ليشم الرجال طيبها هذا، وإذا أهدي إليك طيب أو باقة أزهار فلا تردها.

ثالثًا: إذا كان لك شعر طويل؛ فمن السُّنة أن تكرمه بتنظيفه وغسله وتمشيطه، بحيث لا تبدو للناس أشعث وسخ فروة الرأس، فذلك مما يصيب رأسك بالقشرة، وقد يتطور إلى أمراض جلدة الرأس.

رابعًا: من سنن الفطرة الاستحداد، وهو إزالة شعر العانة، والختان، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، ويمكنك إزالة شعر العانة والإبط بأي وسيلة كالحلق والنتف والنورة أي: مزيلات الشعر المختلفة، وعليك أن تتعهد نفسك بهذه الأمور في وقتها بحيث لا يفحش الشعر، فيمنع وصول الماء إلى البشرة، ويفسد رائحة الموضع.

خامسًا: في حلاقة الشعر احلقه كلَّه أو اتركه كُلَّه، وقد كان عرب الجاهلية ربما حلقوا بعض شعر الطفل وتركوا وسط الرأس أو العكس، فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك، وهو ما يسمَّى القزع.

سادسًا: لا يقرب الزوج زوجته إذا حاضت أو نفست حتى تغتسل وتتطهر، وهذا في صالح المرأة والرجل؛ لأن الحيض أذى ودمه كريه الرائحة، وربما إذا شمَّ الزوج بقايا الحيض كره زوجته.

سابعًا: من سنن الفطرة توفير اللحى وحلق الشوارب؛ لأن الشوارب تحت الأنف وإطالة الشوارب قد يعرضها أن يتسخ بإفرازات الأنف، ولذا يقص من الشاربين ما تحت فتحتي الأنف، أما اللحية فتتعهد بالتخليل والنظافة والطيب.

ثامنًا: خضاب الشيب من السُّنن المستحبة، ويكون الخضاب بالحناء والكتم؛ لأن الحناء طيبة الرائحة، ويجوز أن تخضب بالأصباغ المختلفة بحيث يتراوح اللون بين الحنائي والأصفر، أما الأسود فمكروه.

تاسعًا: إذا طلع الشيب في رأسك ولحيتك، فلا تنتف الشعرة الشائبة؛ لأنها مظهر وقار،

وجاء في الحديث: «**إنَّ الله ليستحي أن يعذب شيبة شابت في الإسلام**».

وأخيرًا فالختان من سنن الفطرة؛ لأنه أضمن لنظافة الموضع وتخفيف المتعة، وهو واجب على الذكور ومستحب اختياري للإناث، بحيث لا يوغل فيه، ويسن أن يكون ختان الولد في سابع يوم من ولادته.

الإسلام دين النظافة

قبل بضعة أيام دعت الدولة المواطنين أن يشاركوا في أسبوع النظافة، ويتعاونوا مع الجهات المختصة في الحفاظ على نظافة الشوارع والأحياء والحدائق، والمملكة تشارك عالميًّا في هذه الأسابيع؛ لأنها تراها أساسًا من أوامر الإسلام ومقاصده، تشارك المملكة في أسبوع الشجرة، ومحو الأمية، وأسبوع المرور، وأسبوع الشباب؛ لأن الزراعة والتعليم والتنظيم ورعاية الشباب كل هذه من أوامر شريعتنا الحكيمة، ومن مقاصدها الكريمة، ولكن شيئًا واحدًا أحب أن ألفت نظر الإخوة القراء إلى أن الإسلام أقر هذه الأمور وقرَّرها ودعا إليها منذ أربعة عشر قرنًا، ولم يجعل لها أسابيع مخصصة، وذلك لأنه جعل الفضائل من ضمن حياتنا اليومية.

إنَّ النظافة والطهارة ليس لهما في الإسلام أسبوع معين؛ لأن النظافة أمر مهم من أوامر الإسلام يكرره المسلم خمس مرات في اليوم والليلة.

إنَّ النظافة في لإسلام عبادة عظيمة وشرط لصحة أعظم العبادات (أعني الصلاة) فلا صلاة بدون نظافة أو طهارة، ومن هنا فأسبوع النظافة الذي عند المؤسسات الدولية يذكر الشعوب بالنظافة في العام مرة، أما النظافة في الإسلام فأسبوعها في الإسلام يتكرر كل يوم خمس مرات.

لقد جاء الإسلام كما هو معروف في ظلمات العصور الوسطى، وكانت المجتمعات الإنسانية في أبأس أحوالها الحضارية والعمرانية، والناس كلهم يرزحون في أغلال الإقطاع والاستبداد والطبقية والجهل والفقر والمرض، فانبرى لمحاربة كل هذه الآفات، وحارب

طبائع الاستبداد والتمييز والجهل، وفي حين فاخرت راهبة مسيحية بأن الماء ما لامس جلدها منذ عرفت نفسها.

أعلن الإسلام أنه دين الطهارة ودين النظافة ووصف عمار مسجد قباء بأن الله يحبهم؛ لأنهم يتطهرون، والله يحب المتطهرين.

لقد ربط الإسلام ربطًا وثيقًا بين الطهارة والنظافة، وبين حركات الجهاز الهضمي والجهاز التناسلي؛ فالخارج من السبيلين يجب أن تعقبه طهارة، فهنالك الحدث الأكبر الذي يرفع بالغسل والحدث الأصغر الذي يزال بالوضوء حتى الريح المنبعثة من المعدة إلى مخرج الغائط توجب الوضوء، وذلك لأنها لا تخرج إلا والمعدة متعبة بالغازات، فلا بدَّ إذن أن يتخلص منها، وكان رسول الله ﷺ أحرص ما يكون على نظافته وشذاه، وكان الطيب من أحب ما يحبه، وكان يحثُّ على السواك ليضمن نظافة الأسنان وبياضها، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كلِّ الصلاة**»، ويقول ﷺ: «**السواك مطهرة للفم مرضاة للرب**».

وقد حثنا -عليه الصلاة والسلام- ألا نكتفي في الوضوء والغسل بغسل ظواهر الأعضاء، بل نتخلل عند غسل الأصابع واللحية والمغابن، وذلك لتزول كل الأوساخ وروائحها من جميع الأعضاء، يقول رسول الله ﷺ فيما رواه الطبراني: «**تخللوا؛ فإنه نظافة، والنظافة تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنة**».

وقد جعل الإسلام النظافة حقًّا من الحقوق المترتبة على المؤمن، فقد روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: «**حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام، يغسل رأسه وجسده**»، وفي رواية لأحمد: «**حق على كل مسلم الغسل والطيب والسواك يوم الجمعة**».

ولتكون بيوت الله واجهات أمامية للذوق الإسلامي منع رسول الله ﷺ أن يقربها من أكل بصلاً أو ثومًا، ومنع أن يبصق في ساحاتها، أو أن يمر بها في داخلها من يحمل لحمًا نيئًا، وأمر بتنظيفها وتطييبها ليكون منظر المسلمين في مساجدهم جميلاً، وليكون شذاهم عطرًا.

ولقد أنكر الرسول ﷺ على اليهود ما كان شائعًا من وساخة أحيائهم، فقال للأمة الإسلامية فيما رواه الترمذي: «**إنَّ الله طيب يحبُّ الطيب، نظيف يحبُّ النظافة، كريم يحبُّ**

الكرم؛ فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود».

إنَّ سنن الفطرة التي سنها لنا الله وحثنا عليها رسوله ما هي إلا ألوان من النظافة؛ فالختان يقطع القلفة التي يمكن أن تحجب أوساخًا، والاستحداد وحلق العانة يسهِّل تنظيف هذه المنطقة التي هي بيئة مهيئة لتكاثر المكروبات، ومثلها نتف الإبط؛ لأن الإبط مغبن، وأكثر ما يؤذيك ممن لا يصلون روائح آباطهم، ومن سنن الفطرة تقليم الأظافر حتى لا تمسك في داخلها أوساخًا خصوصًا وأن الطعام يلامس الأظافر دوامًا، ومن سنن الفطرة قص الشوارب؛ لأنها فوق الفم وتحت الأنف، وعلى كلتا حالتيها تتعرض لفضلات الأنف وفضلات الطعام أثناء الأكل؛ ففي قصها احتراس من الأوساخ، ومن سنن الفطرة إكرام الشعر بمداومة غسله ودهنه وتسريحه وترجيله، فقال فيما رواه أبو داود: «**من كان له شعر فليكرمه**»، ومن سنن الفطرة كما أسلفنا التطيب حيثما أمكن ذلك، ولعل الأخ القارئ قد لاحظ أن جميع سنن الفطرة احتراسات من الأوساخ الجالبة للأمراض.

إنَّ الوضوء وهو فريضة لا تصلح الصلاة بدونها -من أهم العبادات في الإسلام، قال -عليه الصلاة والسلام: «**إذا توضأ العبد فغسل وجهه خرجت من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع آخر قطرة من الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه حتى تخرج، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشت إليها قدماه**».

وقد فرض الإسلام الغسل بعد الجماع وبعد انقطاع الحيض والنفاس وللكافر إذا أسلم؛ لأن كل أولئك تحتاج إلى إزالة الروائح والنجاسة، وجعل هناك أغسالاً مستحبة كغسل الجمعة والعيدين والإحرام ودخول مكة وغسل الوقوف بعرفة، وعلى الجملة فإن اهتمام الإسلام بالنظافة لا حصر له، فالطهور نصف الإيمان.

وما دمنا في أسبوع النظافة فإني أذكر إخواني بما أنعمه الله على هذه الديار من غنى مكَّنها من صيانة ونظافة الطرق والمرافق والأحياء، وما أجمل أن ينتشر الوعي النظافي بين المواطنين، فلا يرى مواطن يلقي بالقذي في الشوارع، أو يرمي علب الشراب من سيارته، أو يفتح على الطريق مجاريه، أو يقذي العيون والأنوف بمنظر زبالته ورائحتها؛ ليتم التعاون على الخير، ويرى الله عملنا ورسوله والمؤمنون.

النظام والانضباط

من آداب المؤمن أنك تراه دوامًا نظاميًّا في عمله، يحبُّ النظام ويحترمه، ويكره المخالفات ويزدريها، فلا تراه يومًا متسببًا أو متسللاً من عمله، ولا تراه يومًا متأخرًا عن موعد دوامه، وذلك لأنه يرى الواجب أمانة ومسئولية مقدسة، ويرى نفسه راعيًا مسئولاً عن أصول عمله وعن إنجاز ما يوكل إليه من ولاة أمره، وتراه على كافة أحواله مخلصًا ومتقنًا؛ لأن ربه أمره بالإخلاص ونهاه عن الغش، ولأن ربه ﷻ يحبُّ إذا عمل المسلم عملاً أن يتقنه، ويحبُّ من كل عامل أن يتحلى بالسمع والطاعة، ومعناهما تنفيذ النظام، جاء في الحديث المتفق عليه عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره**»، وفي الحديث المتفق عليه أيضًا عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا (أي أن المسلم يكون سامعًا مطيعًا ولو رأى في المسئول عنه أنانية وأثرة؛ لأن كل إنسان محاسب على عمله بين يدي ربه)، وعلى ألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحًا عندكم من الله تعالى فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم.

ومن هنا إذا غدوت إلى موظف تراجعه في مصلحة فلم تجده في مكتبه، وقيل لك: إن دوامه في السابعة والنصف، ولكنه لا يحضر إلا في التاسعة؛ فاعلم أن هذا الموظف قد خالف أمر ربه، وباء يوم القيامة بذنبه، وأنه ما قدر الواجب حق قدره، وإذا نصحته سرًّا وبالمعروف، فقال لك: اذهب واشتك إلى المدير؛ فاعلم أنه عندئذٍ ممن قال الله فيهم: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ [البقرة: ٢٠٦]، وبهذا المقياس فإن كل مسلم يولع بالخروج على النظام والتهاون بتعليمات المسئولين يعتبر غاشًّا لمجتمعه المسلم، يقول رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**»، ويشير هذا الحديث الكريم أن الحاكم المسلم إذا سنَّ قانونًا مما فيه تنظيم الدولة ومصلحة الرعية كقانون وقت الدوام أو استقدام العمال أو تنظيم المرور يصبح هذا النظام كأنه تشريع من عند الله؛ لأن طاعة أولى

الأمر مطلب يفرضه الدين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

ومن ثمَّ؛ فالذي يستقدم عددًا كبيرًا من العمال ولا مؤسسة له، ثم يطلقهم في الشوارع خارجًا على أنظمة العمل والاستقدام.. والذي يتولى مهنة التعليم ولا يرسم القدوة الصالحة.. والذي يتصدر للوعظ وهو جاهل يخبط بغير علم.. والذي يطلب وظيفة وهو ليس لها بكفء.. كأن يطلب وظيفة خبير في المقاولات المعمارية وهو لا يتقنها.. والطالب الذي يتسيب من المدرسة ويتسلق الجدران كالقطة المروعة ليفر من المدرسة، وينضم إلى شرذمة مثله ليتسكع في السوق، والطالب الذي يحضر إلى مدرسته، وهو لم يؤد واجباته ولم ينصت إلى شرح أستاذه.. والطالب الذي يعيث في نظام الفصل، وينحاز إلى المشاغبين.. والطالب الذي يتأخر عن الدوام ولا يحضر صفوف الصَّباح.. أقول: كلُّ أولئك ينكر الله عملهم، ويستنكر سلوكهم، ويبيح للمسئولين عقوبتهم وإهانتهم امتدادًا من الكلمة العاتبة إلى طردهم من حرم العلم الطهور الوضيء، كما يطرد الكلب من المسجد، وذلك لأن هؤلاء خالفوا نظام السمع والطاعة الذي فرضه الإسلام على كلِّ امرئ مسلم يتشرف بالانتماء إلى المجتمع الإسلامي الكريم.

ومثل هؤلاء الجندي الذي يكسر الأوامر النظامية، فلا يبكر إلى تدريباته، ولا يلتزم بواجباته، ولا يراعي آدابه وتنظيماته.. إنه حينئذٍ خارج على فضيلة السمع والطاعة جدير بالعقوبة الرادعة التي فيها نكال وعبرة.

لقد لاحظت أثناء عملي في مهنة التعليم أن الطلاب المجتهدين المؤدين لواجباتهم يكونون دوامًا أصحاب أخلاق ودين وعبادة واستقامة، وأن الطلبة المهملين المقصرين في عملهم العابثين في فصولهم هُم الذين لا خلاق لهم من الرجولة، ولا نصيب لهم من الدين والأخلاق، وأذكر قبل أيام أنني سألت عن عدد ممن علَّمتهم وطال عني غيابهم، فعرفت من مجرى أحوالهم أن أكبرهم جدًّا واستقامةً ونظامًا في المدرسة ظلَّ في حياته أكثر زملائه نجاحًا وتوفيقًا واحترامًا، وأن الذين كانوا يحاولون إفساد النظام وإهمال الواجب ظلوا في الحياة يلاحقهم الإخفاق ويحالفهم الضياع.

هذا، ولعلك لو تفقدت أحوال سائقي السيارات لوجدت أمر النظام في قطاعهم أمرًا خطيرًا تتوقف عليه حركة العباد وحياتهم، وفي هذا الحقل تتجلى لك نقائض وعجائب ومفارقات، فمن سائقي السيارات من تراه ملاكًا حريصًا على أرواح مواطنيه منصفًا لهم محترمًا لحق الطريق، وإذا أخطأ اعترف بالحق وأبى أن يظلم.. مثلُ هذا المواطن النظامي إذا بحثت في أخلاقه وجدت روح الإسلام وروح الإيمان.

أما النوع الآخر من السائقين؛ فتراهم إخوانًا للشياطين همه إفساد الشارع وإزعاج المارة والاستهتار بحياتهم وحياة إخوانهم، وترى بينهم فئة من صغار الشباب ضلَّ سعيه وساء عمله وكثير من هؤلاء من يجر على أهله ويلات حين يرونه لسوء سوقه في غرفة الموتى أو الإنعاش، وقد تكسرت عظامه أو يرونه في غيابة السجن حين قضى على حياة غيره، وفي كل أحواله تراه وقد خسر الدنيا والآخرة.. ذلك هو الخسران المبين.

إنَّ من يكسر أنظمة الدولة، فقد أساء إلى دولته وسلطانه، وهذا عند الله إثم عظيم، جاء في سنن الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**من أهان السلطان أهانه الله**»، وإهانة السلطان هي الخروج على الأنظمة النافعة التي يسنُّها لمصلحة الشعب.

إنَّ من المفروض أن يكون كل مواطن لسلطانه بيعة في عنقه يطيعه بها، ويحرص على خير وطنه، وفي الحديث الذي رواه مسلم يقول رسول الله ﷺ: «**مَن خلع يدًا من طاعة لقى الله يوم القيامة، ولا حجة له**»، وفي الحديث المتفق عليه: «**من خرج من السلطان شبرًا مات ميتة جاهلية**»، وفي الحديث الذي رواه مسلم: «**مَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ**».

إنَّ المسلمين يد واحدة وصف متحد على الخير والنظام والحق، والشاذ يشذ في النار؛ ففي الحديث الذي رواه الترمذي: «**يد الله مع الجماعة، ومَن شذَّ شذَّ في النار**»، وفي صحيح مسلم: «**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية**»، وفي فضيلة أداء الواجب يقول رسول الله ﷺ فيما رواه الطبراني: «**الْعَامِلُ إِذَا اسْتُعْمِلَ فَأَخَذَ الْحَقَّ وَأَعْطَى الْحَقَّ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ**».